لقد اختصرت الجبهة الشعبية الطريق أمام الكتاب والمفكرين

منذ حرب تشرين والادباء والكتاب يتنادون الى الاجتماعات والندوات لتحديد دور الاديب في هذه المرحلة .

وامس ، عندما انتهيت من قراءة كلمة امين عام الجبهة الشعبية ، وجدتني اطرق باب « الهدف » دون سابق انذار . لاكتب الكلمة التالية :

الى السائلين عن دور الاديب في هذه المرحلة اقول : لقد اختصرت الجبهة الشعبية الطريق امامنا . ان دوره المنسجم مع ارادة الجماهير الواسعة . هو في الرفض « القاطع والجازم والحازم » لمؤتمر الاستسلام في جنيف وللقرار « المشؤوم السيء الصيت ٢٤٢ » .

وفي اللحظة التي يتوجه فيها ، كل من حمل قلما ، الى الجماهير الواسعة ، الى الفقراء والمضطهدين من الناس ، فيستلهمهم ويعبر عن تطلعاتهم ، يكون قد دخل الى قدس اقداس الفن ، الذي هو مرتبط عضويا بقضايا الساعة ، وبالفكر السياسي للمرحلة .

لن ادخل في التفاصيل التي طرحها الدكتور حبش . احيل من يبحث عنها الى كلمته هو بالذات . لانها واضحة ، ولانها بسيطة ، والعمق في البساطة الصدق ، عندما تترجم هموم وطموحات المرحلة . رغم المرارة التي يستشعرها المرء حين يقرأ بعض التخريجات والتنظيرات لقطاعات واسعة في اوساط المقاومة ، في تبرير مؤتمر جنيف والقبول بالقرار المشؤوم والسيء السمعة .

لقد جاء بيان الجبهة الشعبية على لسان امينها العام ليتيح الفرصة امام الكتاب ليسمعوا كلمتهم للعالم . بعد ان طال ضياعهم وتشرذمهم واستنامتهم للقمة العيش والحبوب المنومة التي يتلقونها « سعداء » من مختلف الانظمة . فهل نحسن الاستفادة من هذه الفرصة المتاحة ، فننتقل من جانب العويل والتشكيك والزعيق الى ضفة الموقف الحقيقي . الموقف المناضل ؟.

لقد تداعى الكتاب الى عقد مؤتمر ادبي ـ فكري . في بغداد او بيروت وقد اصررنا في اكثر من مناسبة ان يكون « مؤتمرا للرفض » . وليس المقصود هنا حرفية الكلمة نتيجة لهوس معين بها او عشق صوفي او مراهقة . انما عنينا الرفض الهادىء العلمي والمدروس . رفض الثائر ، عندما يقرر ذلك وهو مبصر لكل معطيات الواقع الملموس مستقبليا . ولكل المسؤوليات الجسام الناجمة عن موقفه هذا . تماما كما جاء رفض الجبهة الشعبية للحلول الاستسلامية والقرارات المذلة المهينة .

وبرغم الظاهرات السلبية التي قيدت بعض الزملاء من الكتاب فدفعت بكل من هؤلاء «البعض» الى ادعاء امجاد « اول من دعا لهذا المؤتمر وصاحب فكرته » . وبرغم تلكؤ وتباطؤ الدعوة اليه ، فان على الكتاب ان لا يتوقفوا عن مثل هذه الدعوة . لان المرحلة خطيرة . والحاجة ماسة الى سماع كلمتهم ، التي ظلت طويلا راسفة في قيود العيش والظروف الفردية الخاصة .

الدويلة الفلسطينية ، اذا ما قبلت اسرائيل بها ، وهي لن تقبل ، فلن تكون اكثر من كيان كسيح ، يظللها جناح اسرائيل من جانب وجناح النظام الهاشمي العميل من جانب اخر . ، وتنيخ عليها الامبريالية العالمية بكلكلها الثقيل ، فتخنق كل امكانية للتنفس فيها . انها لن تكون اكثر من مركز تجمع لليد العاملة العربية الرخيصة ، للاجراء الذين تحتاجهم اسرائيل .

والقرار المشؤوم السيء الصيت . المنطلق من اضيق الحدود الاقليمية ، والذي ما وضع اصلا الا ليكرس الاقليمية الضيقة ، ويذر قرن الفرقة والشقاق بين ابناء القضية الواحدة ، قضية فلسطين ، حتى هذا القرار التاعس لن يرى النور اطلاقا لان اسرائيل لن توافق عليه .

اليس من التعاسة بمكان ، لو جاز للمؤمن بحقيقة الشعب ان يشعر بالتعاسة ، ان يجد الواحد منا نفسه مضطرا الى الخوض في مثل هذه البديهيات ؟ ولكن هذا هو الوضع الراهن . ان علينا ، ولفترة قد تطول من الزمن ، ان نكرس كل امكاناتنا لرفض الدويلة والقرار . لان اللاحسين لرفضهم السابق كثيرون من حولنا هذه الايام ، الزاحفين المنبطحين ، الذين يرعبهم تصور فقدان المميزات المادية التي حصلوا عليها حتى الان ، رفاههم الدخيل على الثورية الصدق ان تذهب من ايديهم في المستقبل اذا هم كانوا مع انفسهم ، مع قناعاتهم وشعبهم وقضيتهم .

ما هو الحل ؟ لست هنا في موقع البحث عن الحلول في صيغتها النهائية وتحديد ماهيتها . الا انني ادعو الى امرين اثنين :

الاول : ان تتشكل جبهة للرفض ، من كافة فصائل المقاومة ، التي لم تندم على مواقفها السابقة ولم تلحس قرارات رفضها المعروفة ، لتشكل مع الجبهة الشعبية جبهة قوية متراصة تكون عامل ضغط واقناع لمنظمة التحرير وضمن اطار وحدة المقاومة . فان لم يكن امامها فرصة للخيار . قامت بعملية فرز تاريخية وخاضت معركة المصير حتى نهايتها .

والثاني : دعوة كل الكتاب والادباء والفنانين والمفكرين ، لتشكيل جبهة اخرى مشاركة وليست رديفة من ذات الهوية والمعدن ، وتنطلق من نفس المنطلقات لتؤكد عن طريق الكلمة واللوحة واللحن حقيقة الرفض التاريخية النابعة من اعمق اعماق اصالة شعبنا واصراره على حتمية انتصار ثورته لانها ثورة الحق .

ان عقد المؤتمر او لم يعقد . ان كان مكان انعقاده في بيروت او بغداد او اية بقعة او صقع في الوطن العربي او العالم ، فان قيام مثل هذه الجبهة الرافضة للفنانين والكتاب والمفكرين شيء اساسي وهام ومصيري . وان يعتبر جميع الرفاق في هذه الطريق ، منذ اللحظة ، ان الدعوة قائمة لها . مبتدئين برفض كل «الدونكيشوات» الفردية ، حول من دعى ومن له الحق بالدعوة ومن هو صاحب الفكرة . ومن المعيب ـ واقصد هنا بعض الظاهرات السلبية التي لمسناها في الفترة السابقة ـ ان تظهر مثل هذه العقد والامراض في اوساط المثقفين الثوريين .

لتكن كلمتي اليوم ، مجرد بادرة صغيرة ومتواضعة . وليتفضل من يشاء الى تبنيها رسميا ، اتحاد الكتاب العرب ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، اتحاد الكتاب اللبنانيين ، جمعية الفنانين اللبنانيين ، اتحاد الفنانين التشكيليين او ... ليس المهم من يتبناها . انما المهم ان يكون هناك من يقوم بمهمة التبني هذه . والا فليسمحوا لنا على الاقل باخذ زمام المبادرة الفردية وهذا اقل الايمان .

فالى جبهة رفض تضم كافة فصائل المقاومة الرافضة وكل القوى الوطنية في لبنان والوطن العربي .

والى جبهة رفض للفنانين والكتاب والمفكرين . وليكن بيان الجبهة الشعبية ـ وبكل ما في الكلمة من بساطة ومباشرة ـ نقطة الانطلاق لكلا الجبهتين .

عاصم الجندي